
تفليس ابليس
المقدسي


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

﴿ كتاب ﴾

تفليس ابليس

﴿ ليكشف للناظر فيه تلبيس أبليس ﴾

(فيميز بين الخسيس والنفيس)

﴿ تأليف ﴾

(الامام عز الدين بن غانم المقدسى)

المتوفى سنة ٩٧٨ هجرية

ويليه قصيدة

﴿ في حكم مسئلة القضاء والقدر ﴾

(لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية)

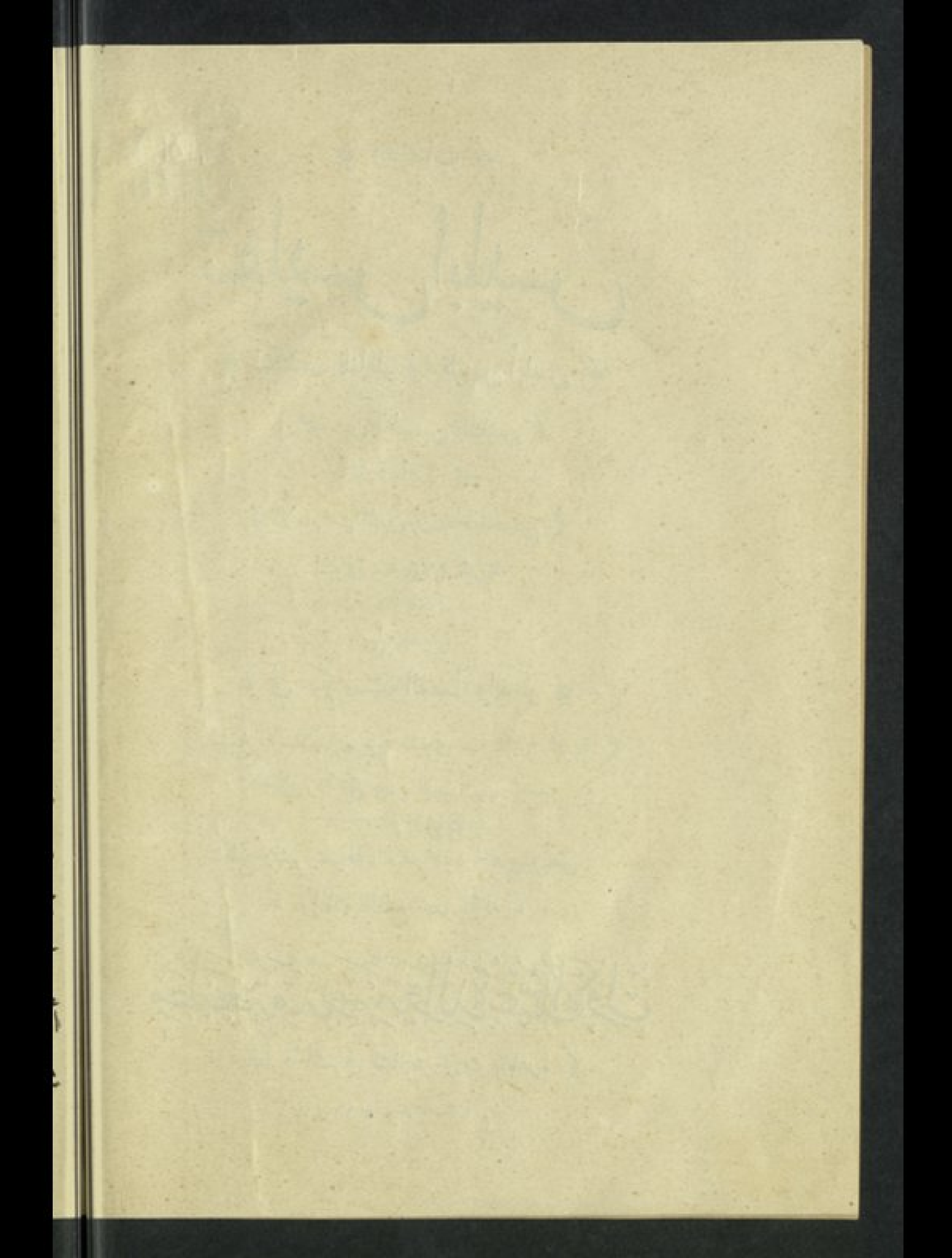
﴿ رداً على بعض الذميين ﴾

طبع ونشر بمعرفة السيد محمود افندى رياض

مطبعة مدرسة والدة عباس الأول

(بالطرقة الشرقى بشارع خيرت بالقاهرة)

١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي خلقَ آدمَ وجعلهُ للبشرِ أبا . واستخرجَ ذريتَه وجعلهم قبائلَ وشعبا . وأجري عليهم قلمَ القضاء والقدرِ وجعل لكل شيءٍ سببا . فما كان من عملٍ صالحٍ كان من العبد مُكتسبا . ومن الربِ عز وجل مكتتبا . فمن أحبَّ مع اللهِ أدبا . تضرّعَ اليه رَغباً ورهباً . وشمّر للقيام بأمره حياءً منه وطلبا . خلق ادمَ من تراب فرأتِ الملائكة خلقاً عجبا . ونفخَ فيهِ من رُوحهِ فصار بقدرتهِ لحماً ودماً وعظاماً وعصبا . فلما زادَ تعجبهُمْ وقالوا انّ لهذا الخلقِ نبا . صالُوا عليه بصارمِ تسبيحهم فأبا . فأجرَوْا بالفخارجوادَ تقديسهم فكبا . فجُعلت كفارةُ جنايتهم أن اسجدوا لآدمَ فسجدوا الاّ ابليسَ أبى . أحمدهُ حمداً كلما كُرّرعلى الأسماع زادت طرباً . واشكرهُ شكراً كلما تفوّه به الشاكر بلغ من اللهِ أربا . وأشهدُ ان لا اله

الا الله وحده لاشريك له شهادة ترفع لقائلها عند الله رتبا . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله من أكرم الناس نسبا . وأطيبهم حسبا . وأحسنهم خلقا وخلقا وأدبا . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ما أثارت الريح سحبا . وأثارت الغياهب نجوما وشهبا . وبعد . فانى نظرت بعين اليقين دائرة الشقاوة والسعادة . تدور على خط الامر ومراكز الاراده . وبينهما تدقيق . يدق عن التحقيق . ومضيق . يفتقر سالكه الى رفيق للتوفيق . فالامر يهب . والارادة تنهب . فما وهبه الامر نهبته الارادة . الامر يقول افعل . والارادة تقول لا تفعل . والفعال لما يريد لايسأل عما يفعل . فقوم علقوا بالامر فضلوا . وقوم علقوا بالارادة فزلوا . وقوم جمعوا بين الامر والارادة فهدوا الى الصراط المستقيم فاستقلوا . فاما الذين تمسكوا بالامر فأضافوا الفعل الى انفسهم تقديراً وفعلاً . وقالوا ان الله تعالى لم يخلق الشر ولم يقدره ولم يرده وانما هو من خلق انفسنا وفعلها ليس لله فيه ارادة وزعموا بجهلهم أن

ذلك تنزيهاً للبارى سبحانه وتعالى عن الرذائل والقبائح ان يجعلها لعبده ويقدرها عليه فعموا بما زعموا وضلوا من حيث نزهوا فأشركوا بالله اذ شاركوا الله في فعله . وخلقه وتقديره. ولزمهم فى اعتقادهم أن يكون عاجزاً في حكمه وقضائه . عن كثير من خلقه . لأن المعصية اكثر من الطاعة . والشر أعم من الخير .والكفر أعم من الايمان. فاذا اعتقدت أن الله تعالى لم يرد ذلك الشر وأنت قدرتها على نفسك ثم أوجدت مرادك دون مراد الله . فارادتك اذاً غالبة لإرادته فقد غلبته فى حكمه . وقهرته فى ملكه . ومحوت ارادته وأثبت ارادتك وكان الذى تريد . لا الذى يريد . وهذا والله قبيح بعيد من مخلوق مرزوق فكيف يليق بمن له الخلق والأمر ومن قوله الحق . والله خلقكم وما تعملون . ثم لا يخلو سبحانه وتعالى اما ان يكون قبل وقوعك فى المعصية عالماً بما يكون منك أم لا فان قلت انه غير عالم فقد كفرت اجماعاً وان قلت انه عالم بمعصيتك قبل وقوعها منك فلا يخلو اما ان يكون قادراً على منعها ثم لم يمنعك عنها ولا هو

يريدُها على زعمك فان قلت انه غير قادر فقد نسبتَ
العجز اليه وان قلت انه قادر فقد أكذبتَ نفسكَ وأبطلت
مذهبكَ فثبتَ حينئذ أنه هو الذى قدّرها عليك قبل كونك
وأرادها لك . وأرادها منكَ . بدليل قوله تعالى انّا كلّ شيء
خلقناه بقدَر . وأما الذين تمسكوا بالارادة وهي المشيئة أحالوا
فعلَهم وعمَلَهم فى الخالقيّه . وقطعوا نطاقَ العبوديّة . وبرءوا
من اعمالهم . وقالوا نحن مجبُورون بحكمَته . مقهورون بمشيئته
فلو شاء لهدَانا . فنحن مستعملَون فيما قدّره علينا . وقضاه فينا
فنحن في قبضةِ قهره . لاتتوجهُ علينا حجّةُ أمْرِه . فلزِمهم فى
اعتقادهم ابطالُ الأمر والنهي . فلأى معنىً إنزالُ الكتُب .
وارسالُ الرسلِ . فان اللهَ تعالى أنزل الكتب مشحونةً بالأمر
والنهى وبيّنَ الأحكامَ . وميّزَ الحلال والحرامَ . واستعبد
اللهُ عبادَهُ بالأمرِ والنهيِ لا بالقضاء والقدر فأرسل الرسُلَ
دُعاةً الى اللهِ تعالى أدِلاءَ في طريقِ الشرائع إعلاماً على محجة
الدين قائمين بالحدود . قال الله تعالى وما كنّا معذّبين حتى
نبعثَ رسولا . واذا أردْنا ان نُهلِكَ قريةً أمرْنا مترَفيها ففسقوا

فيها فحقَّ عليها القولُ أي وجبَ العذابُ فدمّرناها تدميرا .
فجعلَ الأمرَ والنهيَ حجّةً على العباد لئلا يكونَ للناسِ على الله
حجّة بعد الرسلُ فمن تمسك بالمشيئةِ ولم ينظر الى الأمرِ فقد
قطعَ نطاقَ العُبوديةً . وأبطلَ حجّةَ الله على خلقهِ فللهِ الحُجةُ
البالغةُ بالأمرِ والنهيِ وانزالِ الكتب وارسالِ الرسل . فلو
شاء لهداكم اجمعينَ . أشار سبحانه وتعالى فى هذه الآيةِ الى
حكم الأمر والنهيِ والمشيئةُ مشيئتُها لك على التمسّكِ بطرفي
الأمر والارادةِ أما الأمرُ فقد جعلَ لك نوعَ فعلِ وأضافهُ
اليك اضافةً كسبيةً وسببيّةً لا اضافةً خلقيه . فانّ الشيء
يُضافُ الى السبب بدليلِ قوله تعالى مخبرًا عن الاصنام . ربّ
انّهن أضللنَ كثيرًا منَ الناسِ مع أنّهنّ أحجارٌ . لا يسمعْنَ
ولا يُبصرْنَ . فلما كان ذلك سبباً للاضلالِ أضافه اليهنّ . وما
مثالُ العملِ بالاضافةِ الى المشيئةِ إلاّ مثالُ حملٍ ثقيلٍ بين يديْ
رجلين أحدُهما قادرٌ على حملِه ونقله . والآخرُ عاجزٌ عن نقله
فرفعاه جميعاً واشتركا في نقلهِ . فهو إنما يضافُ فى الحقيقة الى
القويّ القادرِ عليه وانما لذلك العاجزِ نوعُ اشتراكٍ معه في نقلهِ

مجازًا لا حقيقةً والحقُّ سبحانه وتعالى أثبت لك فعلا لتوجهِ حجةِ الأمرِ والنهي عليك وجعلَ الارادةَ والمشيئةَ اليه . والهدايةَ والضلالة لديه . فيهدى من شاء ويُضلُّ من يشاء لا يُسئل عما يفعلُ وهم يُسئلون . فأنت مُستعملٌ بالاختيار . مسلوبٌ بالاختبارِ . وربُّكَ يخلقُ مايشاء ويختار . ماكان لهمُ الخيرَةُ سبحان الله وتعالى عما يشرِكون . ثم اعلم ان المسئلةَ المضلَّةَ المشكلةَ هى أصلُ منشأ الهدى والضلالَة وطريق العلم والجهالة . ولقد تورَّطَ فى تحقيقها كثيرٌ من زمن الجهالةِ . وعمِىَ عن طريقها اممٌ منَ الضلالة . فكان أولَ من زلقَ فى مزالقها ابليسُ اللعينُ لمَّا هوى فى هوَّةِ المُخالفَة ظنَّ أنّ اعتمادَه على المشيئة ينجيهِ فقال بما أغويتني ثم القى عكّازةَ المَشيئة وتعلَّقَ بحبال الأمرِ فقال لأزيّننَّ لهم في الارض ولأُغوينَّهمْ أجمعين ففي الأوّل قطعَ ربق العُبوديَّة . باحالته على المشيئة . فسنَّ مذهبَ الجبريَّه . وعمى عن الطريقِ القويم . والصراط المستقيم وهو التمسّك بطرفي الأمرِ والارادة كما فعلَ آدم عليه السلام « قالا ربنا ظلمنا أنفسَنا وان لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من

الخاسرين» فلما كان ابليس أولَ من أيسَ من رحمة الله . ولبَّسَ على عباد الله.ودنَّسَ الطريقَ الى الله . بمعصية الله . أحببتُ ان أوقفهَ موقفَ الجدال . وأناقشه بلسان الحال . الذي لا يُدنّسهُ محَال . فأناظرَه بلسان الشريعةَ . لسَدّ الذريعة.ثم أناضلَه بلسان الحقيقة . لِسلوك الطريقة . فاذا أفلسَ . ومن الخيرِ أبلسَ . عَلِم متُابعوه . ومُبايعوه . أن حجتَه الزّائفه . ومحجتَه الزائغه . فيَجتَنبَه من يجري مجراه . ويسْري مسراه. وهو الذي أردْناه. لما وضعناه . فانّ ابليسَ وان كان قد نفذ حكم الله فيه. وجرَى قلم الشقَّاوَة ببُعده من الله عليه. لكنّ شياطينَ الانس وابالسة الجنس.أشدُّ باساً.وأصعبُ مِراسا.وأقوى وسْواسامن وَساوس إبليس . وأشبهُ منه في التلبيس . ولذلك بدأ الله بذكرِهم . وحذّر من أمرِهم . فقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا شياطينَ الانس والجنِّ .فالشيطان الى شيطان الانس أميل. وهو عليها أقوى وأحيل . فهم خلُفاء الشيطان وحلفاؤه. وأولياؤه وألفاؤه . وقد وضعت كتابي هـذا لتمزيقِ شملِ الفريقين. وتفريقِ ما بينَ الفرقتَين والله أعلم بالصواب.وسَّميته

« تفليس ابليس . ليكشفَ للناظر فيه تلبيس ابليس . فيُميِّزَ بين الخسيس والنفيس » فانى لما اطلعت على كتاب تلبيس ابليس ورأيته بئس الجليس . فانَّه يشتمل على تنقيص اولياء الله والقدح فى علو مراتبهم . وزكيّ مناصبهم . وايهامِ أن الشيطان تسلطَ عليهم . تسلُّطًا . اغواءً واضلالاً . والله تعالى يقول ان عبادي ليسَ لك عليهم سلطانٌ . فكيف الواقع فيهم والناقدُ عليهم تأدَّبْ معهم . بما تأدبَ به ابليسُ معهم حيثُ قال فبعزتكَ لأُغوينّهم أجمعين . الاّ عبادَكَ منهمُ المخلَصينَ . علم انّ لله خُلصاء لايخلصُ اليهم . وَأصفياء لا يَصل اليهم وعباداً لايتسلط عليهم وهو أقلُّ مقداراً . وأذلُّ اقتداراً . وأخفَض مناراً . أن يجول فى مجال الرجال . ويصولَ في ميدان الأبطال . وانمّا جُعلت النساء حبائلهُ . والوساوس وسائلهُ . والأمانيُّ دلائله . فلا يَقع فى حبائله الاَّ ذو عقلٍ ضعيف . ورأيٍ سخيف . وحالٍ كثيف . وقد وصف الله تعالى ضُعفَ كيدِهِ . ووَهَنَ أيده . فقال انّ كيدَ الشيطانِ كان ضعيفا . ولقد أوقفته موقفَ الجدال ونازلتُهُ في معرَكِ النِزال . فجعل يجول وأجول . ويقول وأقول لكنَّه أسَّس بُنيانه

على اساس الوسواس . وأسست بُنْيانى على قواعد قل أعوذ برب الناس. فَجعلَ يُعاملنى معاملة الطالب : ويُرواغُني مُراوَغةَ الهارب . ويُغالطُني مُغالطَةَ الكاذب . وكلما زويته الى زاوية الأمر . فرك بى الى ناحية الارادة . وكلما جرّيته الى طريق الشَّريعة. مَرَق الى مضيق الحقيقة. فقلتُ يالعين أُسْلُك سبيلَ العدْل في الجدال. والانصافِ فى السؤال. فقال هاتِ ماعندك. فقلت وأنت الذى خلقك الله بيدِ قدرته . وأطلعكَ على بدائع صنعته . ودعاك الى حضرة قُرْبته . وألبسك خلعَ توحيده . وتوّجك بتاج تقديسه وتحميده . وجعلك تجولُ في مجَال ملائكته . يقتبِسون من نورك . ويَستأنسون بحُضورك . ويهتدون بعلمك. ويقتدون بعَمَلك. فما برحْتَ فى الملأ الأعلى. تشربُ بالكأس الأملى. وتتلذَّذ بالخطاب الأحلى. طالما كنتَ للملائكة معلِما. وعلى الكرُوبيين مقدَّما. فما برَحْتَ في صومَعة تَعبُّدك . وقلائد تهجدك . حتى خلق الله ادم عليه السلام كما أراد . لِمَا أراد . واُستخلفَه على العباد . وجعله حُجَّةً على أهل العناد. فنظرْتَ اليه بعين الاحتقار. والى نفسك بعين الافتخار.

رأيتَ خلقه من صلصال كالفخار. وخلقك من مارج من نار. فكان أولَ جهلك بنفسك أنك ظننتَ أن جوهر النار أفضلُ من جوهر الماء والطين. وما علمت أن كلّ ما يُلقى الى جوهر النار يتلاشى ويضمحل. ويتمزق ويتفرّق. ويصير لا الى شيء وكلما أُلقيَ الى جوهر الماء والطين يزيد ويربو. وينبتُ وينمو. ويَعلو ويسمو. فأيُّ الجوهرَين أزكى وأطهر. وأبهى للناس وابهر. واشرفُ في القياس وأشهر. ثم لو عرفتَ قدرَك من قدره. لما عدلت عن نهيه وأمره. ولا تعرَّضتَ لكشف مكنون سرّه. فانه استعبَد خلقه بالأمر لا بالقدر. فقال يا أيها الناس اعبُدوا ربكم. وقال للملائكة. اسجُدوا لادم. فعدلتَ عن الأوامر. الى معارضة الآمر. فخرّبتَ ما كان عامرا. وأفسدتَ الأولَ بالآخر. فما جزاء من تجاوز حدودَ عُبوديته. وتعدى طورَ مخلوقيته. الّا أن يزدادَ من ربه بُعدا. وأُمدّ له من العذاب مدًّا. فتنفسَ هنالك. تنفّسَ الهالك. وقال يا آدميّ الكون قد كان ذلك. ولكن أسمعْ غُصةً تمزّقُ القلوبَ قلقاً. وتفتتِ الأكباد حرقاً. من مثلها هلك

فرعونُ غرقا. ومن خوفها خرَّ موسى صعقا. يا آدميَّ الكوْن خالقُ الاشياء. خلقني كما شاء. وأوجدني لما شاء. واُستعملني فيما شاء. وقدَّر على ماشاء. فلم أُطِقْ ان اشاء الاّ ما شاء. فما تجاوَزْت ماشاء. ولا فعلْت غير ما شاء. ولو شاء لردَّني الى ما شاء. وهداني لما شاء. ولكنَّه شاء. فكنت كما شاء. ولو شاء ربُّك لآمن مَنْ في الارض كلُّهم جميعاً. ياهذا سبق لي قبلَ كونِ الاكوان. وكان من الكافرين ما كان. فما برِحْتُ في الأَزلِ . كافراً ولم أزلْ. فاذا كان كافُ كُفري. سبق كافَ كوني. فمَنْ يكونُ على القضاء عونْي . ومَن يُطقْ من القدر صوْني. ولكن كلما يُرضيه مني. رضيتُ به على رأسي وعيني . يا هذا ماحيلةُ من ناصيتهُ في قبضةِ القهرْ. وقلبهُ بيدِ القدر. وأَمْرُه راجعٌ الى حكم القدَم. وقد قُضِي الأمر وجفَّ القلم

ساقي المشيئة قد سقا * كأْسَ السَّعادة والشَّقا

وادارَها من حيثُ شا * على الخليقةِ مُطلقـا

فلـكلِ عبدٍ قدرُ ما * من ذوْقها قد ذُوِّقا

وزِمامُها بيـد الذي * لـكؤوسِها قد روَّقا

واذا أراد لعاشق * فيها بطيب الملتقا

أبدي له من سرّها * في السر نوراً مُشرِقا

فرأى السلوك بحانها * أغلى وأعلى مشرِقا

فأتى كما يأتى الفقـ * ـير من التذلّل مُطرِقا

فحماه لما ان وقا * هُ من القطيعةِ بالرُّقا

وحباه لما أن سقا * هُ بكأسه متدفّقا

وأراهُ حسنا لُطفهَ * ألجاه أن يتعشقا

ولكمْ بذيّاك الجنا * ب فتىً غدا متمزّقا

بادى الهزالِ ولا يزا * لُ عن الوصال معوّقا

قطع الهوى شوقاً اليـ * ـه وعمره قد أنفقا

يبكي اذا برقُ الحما * وهنا سرى متألّقا

يفني الزمانُ ودمعهُ * في الحبِّ يوماً مارقا

انمات دونَ وصالكم * فلكُم به طولُ البقا

يا هذا سبق القدر . بتصوّر البشر . ثم أُستحضرَ الى حضرةِ الرب فخضر . وكُشف له عن مصونِ ذلك الجمال فنظر . فوقعت من الغير . في غيرْ . وبنزول القضاء عمي

البصر. واُستحقرت لآدم بشراً فأبى الله ان يوقع فى البئر الا من حفر. فالسعيد من بغيره اعتبر. والشقي من امر فما ائتمر ودعي للطاعة فأبى واستكبر. هذه حالي فمن ينكرها جهل المعنى ومن يدر عذر. يانشأة الطين. اعلم انى كنت ساكن البال مستقيم الحال. صالح الفعال. لم يخطر البشر الصلصال. لى على البال. تارة استملي كلماته. وتارة استجلي انوار صفاته. وتارة استحلى ألحان اياته. والكروبيون جلاسي. والمقربون أهل ايناسي. فبينما نحن فى حضرة الشهود. اذ أتى بآدم الى الوجود. وأمرت له بالسجود. فداخلتني غيرة الأغيار. وحيرة الإنكار. فمنعتني دعوى المحبة من الإقرار. وقلت المحبة. لا تحتمل المزاحمة. والمحب لا يحتمل المشاركة. جبين سجد للأحد. لا يذل في الوجود لأحد. ولو طردني الى الأبد. فقال لسان الصمد. أتعترض عليّ. وتأبى ان تسجد لما خلقت بيدي. فهممت بالرجوع الى الأمر فجذبتني الإرادة. لعدم السعادة. وألقتني على فراش العنا. فقلت أنا خير منه. فكانت هذه الجناية الثانية أشد من الأولى. لأني فى الأول جهلت امر ربى. وفى الثانية

جهلتُ قدرَ نفسي. ولو عرفت من أنا . لما قلتُ أنا. فبافتخاری
لُعِنت فی الوجود . لا بامتناعي من السجود . ألا تراه حين
أمرنی بالسجود فأبيتُ عذرنی . وما طردنی . حتی أنذرنی .
فقال ما منعك أن تسجدَ لما خلقتُ بيديَّ فعميتُ عن الاعتذار .
وخرستُ عن الاستغفار . وركبتُ جواد الافتخار . وقلتُ أنا
خيرٌ منه خلقتنی من نار . فلما عارضتُ الأقدار . وجهلتُ المقدار .
أُخرِجت عن الجوارِ . وطُرِدت من الديار . فاخرج منها فإنّك
رجيم . فكانَ الفخار . للفُخَّار . وكانت النار . لمن افتخر بالنار .
لأملأنَّ جهنم منك وممَّن تبعكَ منهم أجمعين . فلئنْ كنتُ ابليسَ
آدم . فليتَ شعري من كان ابليسي . أُلبست من أجل آدمَ
ثيابَ تلبيسي . وكان على يديه تجريسي . وبسببه كان تعكيسي
وعليه خُلِعتْ خلعَ تسبيحي وتقديسي . ومنذ رأيتُه هجرنی
جليسي . وصدَّ عني أنيسي

تعجبَ الناسُ من حبيبي * اذ جعل الهجرَ من نصيبي
من بعدِ وصل وجمع شمل * أبعدنی عنه كالغريب
فكنت دهراً عزيزَ قومٍ * فصرْتُ بالذُّل كالمُرِيب

كم ليلةٍ قد سقيت فيها * كؤوس وَصْلٍ بلا رقيب
ونحن في حضرةٍ شذاها * أزكى من المَندل الرطيبِ
ومُطرِبُ الحيّ قد تغنّى * ياليلتي بالوصال طيبي
لم أذرِ حتى رُميت منه * عمداً بسهم القضا المُصيب
فلم أجد قطُّ لي مُعيناً * على الذى بى سوى نحيبي
فرُحت أشكو الى طبيبي * فكان سقمي من الطبيبِ
وكلما فاض ماء عيني * يزدادُ ما بى من اللهيب
فقلت ياللرِجال هذا * مُصَابُ صُبَّ به كئيب
فاعتبروا بالذى دهانى * فشرح حالي من العَجيب
فكَمْ به من لطيف معنىً * لفَطِنٍ العارف اللبيب

ياهذا وكلُّ هذا راجعٌ الى احكام المشيئة. دائرٌ في دائرة الإرادة. عائدٌ الى سابق القسمة الأزليَّة. لا بسبب ذلهَ. ولا لوجُود علهِ. والاّ فقد ساوى القدر بنى وبين آدم فى الخطية. فَسلبْت دونه العطيهَ. ورجع الى ربهِ بنفسٍ راضيةٍ مرضيةٍ. ورجعت بلعنة أبديهَ. وخيبةٍ سرمدية. أُمرتُ بالسجود فلم أسجُدْ. ونُهى آدمُ عن الشجرة فلم ينتهِ. لكنه هبَّتْ علىَّ

شجرةِ جنايتهِ نَسَمَاتُ نفحات . فتلقّى آدمُ من ربّهِ كلمات .
فجُعِلنَ لقاحاً لشجرة جنايته . فجنى من شينها شفاء . ومن جيِّها
اجتباء . ومن رآنها ارتقاء . ومن هلنّها اهتداء ثم اجتباهُ ربه
فتاب عليه وهدى . وأمّا أنا فعصفَتْ بي عواصفُ اللعنة .
واختطَفتني خواطفُ الخيبة . فنظرتُ فاذا الملائكةُ في حضرة
الشهود . سيماهُمْ في وُجوهِهم من أثرِ السجود . فحدّقتُ في
مرآة علمي وعملي . فرأيتُ وجهي منغمساً بسواد شقوتي . يُعرَف
المجرمون بسيماهم . فقلت يا العين مالي أراك زائغاً عن الحجة .
رائغاً عن المحجة . غارقاً في وسطِ اللّجه . لاحجّة لك عليه . ولا
عُذرَ لك لديه . فانك لو صدقتَ في دعوى محبتك . وحققتَ
معنى معرفتك . لعلمتَ أن انقيادَ العبدِ أليَقُ من اعتراضه .
والوقوفُ عند الأوامرِ أجملُ بالمحب من اعتراضه . ثم ما
كفاك اذ خالفتَ أمره . وجهلتَ قدرَه . حتى واجهته بسوء
الأدب بقولك رب بما اغويتني فتبرأت من ذنبك . وأحلته
على ربّك . فقطعتَ نطاقَ العبودية . فهل رأيتَ محبّاً يحيلُ
ذنبَهُ على حبيبه . ويُضيف نقصه الى مليكه . فبقولك رب

بما أغويتني كنتَ جبريًا . وبقولك لأغوينّهم كنتَ قدريًا . يالعين فهلاّ تأدّبتَ بما تأدب به آدم . لما رأى سهامَ المشيئة وقلمَ القضاء قد أُجريا عليه . مسكَ الحبلَ بطرفيه . فأضاف النقيصةَ الى نفسه لزوماً لأدبِ العبوديه . وتعظيماً لجبروت الربوبيه . وقال ربّنا ظلمنا انفسنا ثم تمسّك بحبال الرحمانية . المنوطةِ بعروة المشيئة . وان لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكوننّ من الخاسرين . وما مثالُ العاصي والذنوب بالاضافة الى العبد . والاضافة الى الربّ . الامثالُ ساقية صغيرة تجري بأوساخ الناس وأقذارهم فهي محكومٌ بنجاستها مادامتْ فى حيّزِ الاّ من كسبَ سيئةً وأحاطتْ به خطيئتهُ فاذا اتّصلتْ ببحر محيط قلْ كلٌ من عند الله تلاشتْ في شطوط الأقدار . واضمحلّتْ بالاستغفار . فى لجج بحار وانى لغفار . فاذا حكم بطهارتها عند حاكم صنعَ الله الذى أتقن كلّ شيء صلحتْ هنالك لقبول فاولئك يبدّلُ اللهُ سيآتهم حسناتٍ . ياشقى ومعارضتك له فى الأقدار . أشدُّ جناية من الانكار . وأسوأُ حالاً من الاصرار . والاستكثار . لأنك لزمتَ مالم يلزمْ . وادّعيتَ علم مالا تعلم . فانّ علمَ

الإرادة علمٌ عليٌ. وسرُّ المشيئةِ سرٌّ خفيّ. لا يُدرِكهُ فهم. ولا يُحيطُ به وَهْم. ولا يحيطون بشيء من علمه الآ بما شاء. ثم انك حالةَ الأمرِ بالسجود لم تكن عالماً بسابق المشيئةِ فيك. ولا عارفاً بنُفُوذِ قضائه عليك. فامتناعك على تلك الحالة لم يكُنْ لعلمك بعدم إرادتِه لسجودِك. ولا لمعرفتك بمراد معبودِك. وانما كان امتناعُك لفساد اعتقادِك. وسوء اْنتقادك. فنظرْتَ الى آدم محتقراً. ونظرْتَ الى نفسِكَ مُفْتَخِراً. فخالفتَ أمرَهُ متجبراً متكبراً. فكان طرْدُك وابعادُك لمخالفةِ الأمرِ لا لجريان حُكمه عليك. ونفوذِ قضائهِ فيك. فتَنَمَّرَ هنالك تَنَمُّرَ الذيب. وتَغيَّرَ تغيُّرَ المُرِيب وقال شعر

صبٌّ اصابته سهامُ القضا * فأضرَمتْ فى القلبِ نارَ الغضا

مرَّت كما شاء مليكُ الهوى * فضاق بالقلب وسيعُ الفضا

أنفاسُهُ تسرى وأجفانه * تجرى اذا برَقَ الحما أوْ مضا

يذْكرُهُ بارقُ إيماضِه * عيشاً تولّىَ وزماناً مضى

ياسادةً عطفاً فقد مرَّ لى * زمانُ وصلٍ منكم وانقضا

وانى عبدٌ وحقِّ الهوى * إن أقبلَ الدّهرُ وإنْ أعرَضا

يا ضيعةَ العمرِ الذى قدْ غدَا * نهبَ يدِ البينِ وما عوّضا
الى متى هجرُكَ ياسيدى * لمهجةِ المشتاق قد أمرضا
أنظرْ الى قصة حالي عسى * توقيعِ المرسومَ بالمقتضا
وفصلَ الحكمِ ويُجرى على * عوايدِ العفو زماناً مضى

ياهذا ان كنتَ للمعاني معانى . فغصْ فى لُجج التحقيق . وغُصْ معي في مغاصِ جواهرِ التدقيق . لتجتمعَ في بحر الحقيقة والشريعة . لأنّ من شرَعَ في شريعة عشقه . وتحقيق صدقه . ساوى بصحيح قصده . بين هجره وصدّه . وبين قربه وبعده . قل كلٌ من عند الله . ياهذا . اتظنّ أن أحداً فى العباد أبعدُ مني . أو فى العرفانِ أعرفُ مني . لا دعوى أصدقُ من دعواى . ولا معنى أصدقُ من معناى . قال لي اسجدْ لغيري قلت لا غيرَ . قال عليك لعنتي قلت لاضيرَ . إن أذيتنى فانتَ انت . فقال تفعلُ ذلك استكباراً ونخازاً . فقلت سيدى من عرفكَ في عمرهِ لحظه . أوخلا بك في دهرهِ غمضه . أو صحبكَ فى طريق محبتكَ ساعه . حقّ له ان يفتخر . كيف بمن قد قطعَ الاعمار . وعمر بحبكَ الآثار . كم قد رقمتُ فى صحائف

توحيدك في الليل والنهار. كم قد دَرَستُ من دروس تقديسك وتمجيدك في الإعلان والإسرار. والآثارُ تشهد لى . والديار تعرف بحقى. والليل والنهار يصدقنى . فاين كان آدمُ وأنا إمامُ صفوفِ الملائكة . وخطيبُ جميعِ الكروبيين . وقادة وَفد المقرَّبين فلى معك سابقُ عباده . ولك معي سابقُ إراده . فلما ظهرتْ أعلامُ الإراده . انطَمَستْ رسومُ العباده . فاخطأ المجتهدُ اجتهادَهُ . وزال السيدُ عن رتب السيادة . وأصابه سَهمُ القضا فما أخطى فؤادَه . فسواءٌ أسجدُ اولمْ أسجد. وعبدْتُ ام لم أعبد . فلا بدَّ من الرجوع الى سابقة الأقدار . فانك خلقتنى من نار . فلا بدَّ من العود الى النار . منها خلقنا كم وفيها نعيدكم . ياهذا . اتظنَّ أني أخطاتُ التَّدْبير . وردَدْتُ التقدير . وغيرتنى التغيير . لا وَعلوِّ عزَّتِه . وسنا قدرته . لكنه خلَقَ الحسن والقبيح . والمستقيمَ والصحيح . جمعاً بين الشيء وضدِه . ليدل على كمالِ قدرته . فان الاشياء لا تعرف الاَّ بالاضداد . فجعلَني فى الأول أعلِمَ المحاسنَ في الملإِ الأَعلى فأُبيِّنُها للأملاك . وأزيِّنُ بها الأفلاك . فكنتُ معلّم التوحيد . فلما طالع أطفالُ المكتب

أمثلةَ توحيدِهم . وحققوا حروف هجا تقديسهم وتمجيدهم .
نقلني من العالَم الأعلى الى العالم الأسفل أُعلّمُهمْ ماهو ضدُّ
ذلكَ فأبيّنُ لهم القبائحَ وأزيّنها لهم . فبي عُرِفَ الحسنُ والقبيح .
وميّزَ المستقيمُ والصحيحُ . فأنا في الأرض والسماء . عريف
العُرفا . معلّم العلماء . فأنا معجزُ القُدْرَة . وعلامةُ منشورِ الصفّقة .
ومُشاهد حضرة الحكمة . فمن هو في الحضرة ادنى مني . ومن
هو في الذكر أشهرُ مني . فلي شرفٌ اذْ ذكرني . وان كان
لعنني . ولي فخرٌ اذْ نظرني . وان كان قد طردني . فبمعرفتي له
أنكرني . ولحيرتي به حيّرني . ولغيرتي عليه غيّرني . ولخدمتي
خذلني . ولصحبتي حرمني . فالآن وقتي به أصفى . وحالي معه
أشفى . لأني كنتُ أخدمهُ لحظّي . والآن أخدمه لحظه . فارتفع
الحظُّ من البين . وأنت تظنّهُ بين . فلئنْ كنتُ قد سقطت من
العين . فقد وقعتُ في عين العين .

على حبّكمْ أنفقت شرخَ شبابي
ومن أجلكم في الحب عزّ مُصابي
شَرُفتُ بكم دهراً فلما هجرتمُ

جفاني صديقي فيكمو وصحابي

وكانت لىَ الأكوانُ طوعاً فأصبحتْ

ولا شيء الاّ مولعاً بسبابي

ظننتُ باني آمنٌ من صدودِكم

فخيبني ظنى وسوء حسابي

وما كان ذنبي فى الهوَى غيرَ أننى

لغيرِك ما وجّهتُ وجهَ ركابى

ولا استحسنتْ عيني جمالاً رأيتهُ

سواكَ ولا مرّ السلوُّ ببالى

فكم بِت والكاسات تجلَى ونحن في

حظيرة قدْسٍ في أعز جناب

ينادمنى سرّاً بسري وطالما

تجلّى على قلبي بغير حجاب

الى أن رمانى بالصدود معذِبى

فرُحتُ وقلبى فى أليم عذاب

لك الخيرُ فاسلَمْ ما استطعت من الهوى

وأياكَ عنّي لا يكنْ بك ما بي

يا هذا . ولقد لقيتُ موسى على عقبةِ الطور . وهو بما أُوتىَ مسرُور.فقال ما منعك من السجود.فقلت منعنى الدعوى بمحبوبٍ واحد ولو سجدتُ الى آدم حين أُمرت . لكنتُ مثلَك فانَّك نُوديتَ مرَّةً واحدةً اُنظر الى الجبل فنظرْت . وانا نوديتُ الفَ مرةٍ أن اسجُدْ فما سجَدْت . لدعواى بمعانى فقال لى تركتَ الأمر فقلت ما أمرنى .فقال أليس قال اُسجد لادم فقلت ذاك أمر ابتلاء لا امرُ ارادهُ.ولو كان أمرَ إرادةٍ اُسجدْت . فقال لا جرَمَ غيّرَ صورتك . فقلت ياموسى ذاك تلبيسُ الحال لامعوّل عليه فانَّهُ يحولُ ولكن المعرفة صحيحةٌ لَمْ تتغيَر .وان كان الشخصُ قد تغيَّر .فان الصفا باقٍ لم يتكدَّر. فقال لى موسى هل تذكرهُ الآنَ بعد ماطردك وأبعدك.فقلت ياموسى الذكَرُ لا يذكر وانا مذكور.أو ينُكَر من هو مشهور. ياموسى أنا في الخدمة أقدم . وفى الفضلِ أعظم . وفى العلم أعلم . أنا أعلَمهُمْ بالسجود . وأقربهم الى الوجود . وأبذلُ للمجهود. وأوفاهم بالعهود.وأدناهم من المعبُود.ولكن سيدى قال

الإختيار لى لا لك. والاختبار لى لا لكَ . فقلت سيدى لك الاختيارات كلها . فاختياري اليك . واختبارِى بيدَيك فان أهنتنى فأنت الرفيع . وان منعتنى عن السجودِ فأنت المنيع . وان اخطأتُ في المقال فأنت السميع . وان أردتَ أن اسجد له فأنا المطيع . وأنشد وجعل يقول

اذا كان حظي منكمُ الصدُّ والجفا
فسيانَ ان جارَ الزمان وان وفا
ومن منقذِى من ظلمةِ الهجر والقلا
اذا كان مصباحُ الظلامِ قد انطفا
وكلُّ قليلِ الحظ فى الحبِّ هكذا
واُقضي وقلبي بالصبابة ما اشتفا
فما حيلةُ المطرودِ الاَّ بكاؤهُ
ولا فرَجُ المهجورِ الاَّ التأسُّفا

فقال تأمل ان كنت ذا فطنه . كَمْ فى خفايا تلك اللعنة من منِه . فانا باللعنة مسرورٌ . ولستُ فى الحقيقة مهجور . لانه جعلنى فى ذِكرهِ مذكُور . وفى كتابهِ مسطور . محلِّي

من عبادِه الصدورُ . ومنزلي من أوليائه كلُّ قلبٍ معمور. فلئنْ هجرَ رَسْمِي. فاهجرَ اسْمي . ولئنْ رفضَ قدري . فارفضَ ذكري. فما برِحتْ منّتُهُ عليَّ. وإحسانُهُ اليَّ . وان كان غضبانًا عليَّ . فحسبي من الحب سلبي . ومن الذكر نسبي . ورضيتُ من قُرْبِهِ قُربي من اهل قربته . ومُزاحمتي لاهل محبته . فلا أزال أُزاحمهم على ذكره . وأُساهمهم نوال برّه . فلي من كل عمل نصيب . والى كل قلبٍ سهمٌ مصيب . لمّا طردني عن الحضار . سألته الانظار . فقال انك لمن المنظرين . قلت سيدي كُنتُ عليك مكرّما . وعند خواص حضرتك معظما . حتى جاء منشورُ لايُسئَل عما يفعل وهم يُسئلون . فكانت ولاية التكريمِ لآدم فجاءني منشور ولاية ولقد كرّمنا بني آدم. فقلتُ أرأيتك هذا الذي كرّمتَ عليَّ انك كنتَ لديَّ كريما. وعليَّ عزيزا . فقال ان الكرامة للماء المَهين . ولك العذابُ المُهين . قلت فبعزّتك لأُغوينّهم أجمعين. قال يالعين اني لعنتك وانت تُقسم بعزتي قلت سيدي ليس عندي شيء أعزّ من عزتك ولولا حبي لعزتك مارضيتك لي معبوداً. ولولا عظمةُ عرشك

ما أنكرت لآدم سجوداً ولكني تعززت بعزتك التي تعززت
بها على أمثالي. واستغنيت بها على أشكالي. لكنني لما لزمني القسمُ
بعزتك. فأنا أستثنى في يميني من هو محتم بحمى عصمتك. الاعبادك
منهم المخلصين. فاستثنائي. يدلك على حسن ثنائي وصدق ولائي.
وصحة دعواي فلا أسجد لغير وجهك. ولا أقسم بعزة غيرك.
فقال ياطريد قد جعلتُ لي حزباً ولك حزباً. فمن كان مسلما
كان لي حزباً. ومن كان أبياً كان لك حزباً. ألا إن حزبَ الله
هم المفلحون. ألا إن حزبَ الشيطان هم الخاسرون. قلت
سيدي الامنَ الامانَ فان الطالبَ لا يُطالب. والغالبَ لا
لايُغالَب. والحاكم لايحاكم. والقويّ لايُقاوَم. لكن من شِقوتي
اقتتنى دون عبادك. في صف عنادك. لنفوذ مشيئتك
ومرادك. وكان مُرادي أن أريدَ ما تريد. سبقَ القدرُ فمنهم
شقيٌ وسعيد

لما رأيتُ القضاء يمضي * من غير أمري ولا مرادي
وخيلهُ العاديات تجري * بالحُكم في سائر العبادِ
وللمقادير صـــائباتٌ * تقتنصُ الأسدَ في البوادِي

مادُمتُ شيئاً أُريد الآ * اقامةَ الحرب في عنادي
وكل ما قد قضاه يمضي * فما احتيالي وما اجتهادي

سيدي وان طردتني من قربك. وحرمتني من حبك. فلا تطردني من حرمِ حزبك وصحبك. فقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان. وقد نُفيتَ من خدمة السلطان. فلما كان ما كان. ومابقي للصلح مكان. استرجعت خلع محبوبي. ورُددت الى خزانة من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف ياتى اللهُ بقوم يحبهم ويُحبونه. قلت سيدى فما الذى عوضتُ عن خلعتي. قال وانَّ عليك لعنتي. قلت كيف يطيقون محبتك. وأنا على طريق محبتهم لك. قد نصبت لهم أشراكَ لأضلنَّهم ولأمنينَّهم ولآمرنَّهم. فليبتكنَّ آذانَ الانعامِ ولآمرنَّهم فليغيرنَّ خلقَ الله. قال ياشقي هبك قطعت عليهم طريق محبتهم لى. فهل تقدرأن تقطع عليَّ طريقَ محبتي لهم. اذا خرج لهم منشور يحبهم أغناهم عن علامة يُحبونه. ياخبيث انما حظك من الخلق كل خبيث. الخبيثات للخبيثين انما جعلتُ لك من العباد من لا خيرفيه. ان شرَّ الدواب عند الله الذين كفروا. ولما جمع البشر. فى مُنخل انا كلَّ شيء خلقناه

بقدر . وغُربِلوا بغربال ليَميزَ الله الخبيث من الطيب . وقسموا بقرعة هؤلاء الى الجنة ولا أُبالى . وهؤلاء الى النار ولا أُبالى. فمال اليك أصحاب الشمال . ومال اليَّ أصحاب اليمين . وانتخانا طيب اللباب . والقينا النخالة للدواب . فمن يصلح لخدمتى استخدمك . وأطال ندمك . ومن يصلح لخدمتك خدمك . وقبّلَ قدمك . ومن لا يصلح للوقوف على بابي . طردته عن بابي. اليك رأسَ المطرودين .فاذهب فمن تبعك منهم لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. واما من صلح لجنابي . دعوتهم الى بابي. فسلكوا فى بادية طلبهم الى طريقِ اياكَ نعبد ووصلتهم بدقيق اياك نستعين .فان نَصَبْتَ عليهم أشراك الوسواس فقد عوّذْتُهم منك بعوذةِ قلْ اعوذُ بربِّ الناس .فلا يزال بي موصولا . ولا تُطيق اليه وُصولا . وقد كَتَبْتُ له وصولاً . علامةُ حصُولِه ربِّ أَعوذُبكَ من همزاتِ الشياطينِ. واشارةُ قبوله وأعوذبك ربّ ان يحضرون ان نزل منزل منازلاتي .قال رب أَنزِلنى منزِلاً مباركا.وان دخل خلوة مناجاتي .قال رب أدخِلني مُدْخَلَ صِدق .وأخرِجنى مُخرَج صِدق . وأما من أوحيت

اليه زُخرُفَ غرورك . وزينت له أَمَانِيَ زُورِكَ . فأُرسِلُ اليه
تَذكِرَةَ ان الذين اتقوا اذا مسهم طيفٌ من الشيطان تذكّروا
فاذاهم مبصرون . وأما من استفززته بصوتك . وأجلبت عليه
بخيلك ورَجلِك . فألبسه من أجلك . درْع انى معكم فثبتوا الذين
آمنوا . وأما من أوجفت عليه بركابِ ثم لآتينّهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم . نقد حجبتُهم بحجاب
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونهُ من أمر الله . فاذا
نزل باحدهم زلّه . او كبَتْ بهم مطيّةُ خطيّه . أفرغتُ عليهم
غفرانَ وانى لغفار لمن تاب . وان أنت ظفرتَ بمن قُطِع منهم
فى مقطعِ قطيعه . قد أحاطت به خطيئة . فاخذت سلبَه . ونهبتَ
مكسبَه . فبينما انت تقسم السلبَ وتقول افسدتُ دينه . وأضعفتُ
يقينه . وأخذتُ صلاته . ونقضتُ قيامه وصيامه . وهو منتهَب
لديك . مُستَلب بين يديك . اذ أرسلتُ اليك من صدره نبلةَ
توبه . فاخذتَ فى الهرب . وتركتَ السلبَ . فسلطانك عليهم .
تعدهم وتمنيهم . واحساني اليهم . ان لاتعرِض عليهم في ناديهم .
وأناديهم هل من داعٍ فاستجيبَ له . هل من سائل فأعطيَه .

هل من تائب فأتوبَ عليه . فانت ان وَسعك ان تجرى فى
فى مجارى دمهم وعروقهم . فأنا ما وَسِعَني سمواتى ولا أرضي.
ووَسعنى قلب عبدى المؤمن . واذا اتصلت بصدورهم . فأنا
فى سرهم وضميرهم. من ذكرني فى نفسه. ذكرته في نفسي . ومن
ذكرني فى ملاء ذكرته فى ملاء خير من ملايه . ومن اتاني
يمشي أتيته هرولةً. وان كنتَ معهم في سرورهم. فانا معهم في
مغيبهم وحضورهم. وهو معكم اينما كنتم. ان تجسَّستَ على ابواب
دورهم . فانا معهم في حجورهم. انا جليس من ذكرني. وأن كنتَ
عند جسورهم. فانا عند مكسورهم. تجدني عند المنكسرةِ قلوبهُم
من أجلى . فقلت سيدى وعزتِك التى قد أذلَّتنى . وقدرتك
التى قد أنقذتنى . وقوتك قد التى افترستنى . مارضيتُ أن
أتلحَّسَ على كناسة فضلهم إلاَّ لاتسمع أخبارك . وأتتبَّع
اذكارك. وأتشمَّم اسرارك. فازاحمهم في أوقات خلواتهم بك.
ومناجاتهم لك . لعلك اذا تجليت عليهم . وعطفت بنظرك
الكريم اليهم . فاكون من الحضار . ان لم اكن من النظار فان
حرمتُ النظرَ اليك . نظرت الى من ينظر اليك . وان هنت

عليك . تمسكت باذيال من هو عزيز عليك

أحِبَّاؤنا ان جُرتمُ او هجَرتم
وحقِكم لا حلَّ عقد ولا كمُ
ولا استَحسنَت عيني جمالاً رأيتُه
سواكم ولا سُرَّتْ بغير لِقاكم
قَضَيتمُ بوَشك البَينِ بيني وبينكم
فما حيلتي الا الرضا بقضاكم
وكان مناىَ أن يدور لىَ الصفا
فكان الجفا والهجرُ كلَّ مناكم
ولى حُرْمةُ الجار القديم ومن له
حِفاظٌ ومَنْ والاكُم وارتضاكم
فوالله ما أنسى وقد مرَّ لى بكم
زمانُ رضاً فى ظلكم وحماكم
أتيه عن الاكوان عجباً بحبكم
وأغدوا وقلبى آمناً من جفاكم

وما كان ظني أني بعد صفوتي

أعود على حكم الهوى من عِداكم

على شُؤم بختي كان عنوانُ شِقوتي

صُدودَكم عني ومالي سواكم

وكان رضاكم في رضاى بسُخطِكم

عليّ فأهلاً في الهوى برضاكم

وما حيلتي الاّ وقوفي ببابكم

لعلكم أن تعطفوا وعساكم

أَمد الى احسان حسنكمُ يدي

ارجي غنى فقري فضَنَّ غِناكم

دعاني اليكم جودُكم فأجبته

وعاداتكم ان تجبروا من أتاكم

فان تحرموني نظرة من جمالكم

فلا تحرموني عَبقَةً من شَذَاكم

واني لآتي ارضكم لا لحاجة

لعلي أراكم أو أرى من يراكم

فقلت لهُ ياشقي .مايفيدك تجلدك .ولا يَرُدُّ عنك تمرُّدك .
فانه لايقاس صحيح بمكسور .ولا مُواصَل بمَهجور . وأين الشقي
من السعيد . وأين القريب من الطريد . فارجع الى حقيقة
الحق .وطريقة الصدق . وهاتِ حدّث عن حالك . ومالَكَ
من الملائك . فقال ياهذا لا تُجدِّد عِزًّا عزّ شفاؤه. وداءٌ قلَّ
دواؤهُ.فوالله ما أصاب أحداً مُصابي. ولاعُذِّب أحدٌ عذابي.
ضربت بسوط حجابي.ونُغِّصَ عليَّ ما في شرابي. وايُّ مصيبة
أعظمُ من عزيز قومٍ ذل .وغنيٍّ افتقر . ياهذا اعلم انه على
قدر الصعود يكون الهبوط . وعلى قدر الرفعة تكون المنزلة .
فكيف يكون حال من رقا . الى اعلى مراقى التقى . ثم هوَى
الى أدنى مهاوي الشقا . كيف يكون حال من كان كل ما فى
الكون عوناً له . فاصبح كل ما فى الكون عوناً عليه . ياهذا
من نظر اليه بعين المقت . كدّر عليه الوقت . ياهذا كل ايام
صلحي له كنت صالحاً لكل شي. ينصالح بي كل شي . فحينَ
هدَمت هدْنة الصلح بينى وبينه لم اصلح لشي . بل فسد بي كل
شى. أحببته فحُبّبتُ الى كل شي.فلما ناقشنى التحقيق عند عالم

القدر بطل دَعوى محبّتي فبَغّضَني الى كل شي .كنت فى ايام
صفوه المعاملة بيني وَبَينه. فصرت عُكّازة للعاصين والخاطئين.
ان زلّ احدُهم قال انما استزلّهم الشيطان.وان نسى أحدهم قال
فانساه الشيطان. وان عمل أحدهم قال هذا من عمل الشيطان .
فاناحمالُ أوزار المذنبين.وحمالُ أثقال الخاطئين.وما ذاك إلاّ لأنى
سَنَنْتُ سنة المخالفة.والخروج عن الامر.فانا أولُ من سنّ سُنّة
المَعصِية.ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم
القيامة .فلما استسن آدم سنتى.وزَلِق في مَزلَقَة المعصية. تَلقّاهُ
مُعِينُ فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه.فكان آدم عليه السلام
أول من سنّ سنة التوبة فله أجرهاَ وأجر من عمل بها الى
يوم القيامة .ياهذا فايتنى هلكت مع الهالكين. حين ذهبت مع
الذاهبين . ليت النار التي خلقت منها كانت رَمادا . لم تَقدحِ
زنادا ثم لكمال شقوتي سألت الانظار . فصرت أُضحوكةً
للحُضّار . أذوبُ اذا سمعت الذاكرين . وأتمزّق اذا رأيت
الشاكرين . واحدٌ أفِرُّ من ظلّهِ . وواحدٌ أهربُ من زكيِّ
فعله . وواحد تحرقنى أنفاسه . وواحد يعجزنى مِراسهُ . ليس

العجبُ ممن أفزع منه وهو فى صلاتِه وصَوْمه . انما العجبُ
ممن أُضرِعَ منه وهو فيِ لذيذ نومِه . جَسَدُهُ يتقلَّبُ على الفرش .
ورُوحه تتنزَّهُ في العَرش . ترْفعهُ أنفاسُ الأشواق . وأنا أُرْجَم
بشُهُبِ الإحراق . [اذا تاب التائبُ قصمَ ظَهرى . واذا رَجعَ
الآيبُ نقَص عمرى . كلما بنيتُه مع العاصي في سنَة . تَهْدِمهُ
التوبة في سِنَة . فانا في وَيلٍ لايَزُول . وحَرب لايحُول . وحزنٍ
شرحُه يطول.] أقامنى فى وصفِ محُاربته فهربْتُ . ونازلنى في معركِ
مُغالبته فغلبتُ . وأُخرِجَ عليَّ من كمينِ الإرادةِ قُطَّاعُ طريقِ
الأملِ فنُهِبتُ . وشنَّ عليَّ غاراتِ قهرِه فلُعِنت . وسدَّ عليَّ ابواب
رحمتِه فطُرِدتُ . فالتجأتُ الى جبريلَ فما أَجَارنى . فاستغثتُ بميكائيل
فما انجانى . فاستغثت باسرافيل فقال لى انتَ الجانى . فاستصرختَ
بعِزرائيلَ فما راعانى . فأويتُ الى كلِّ شيءٍ فما أوانى . واحتميت
بكل شيءٍ فما حماني . فلما رأيت الكونَ قد قلانى . والكلَّ قد
هجانى . وداعى القطيعة قد دعانى . ألقيتُ هناك سلاحي . والقيتُ
تعديدى ونواحي . في سائر الجهات والنواحي . ورضيت بلعنتى
وافتضاحى . في البكور والضواحى

وما لى لا أُصَرِّحُ بالنواحي * على تلك المنازل والنواحي

ديارٌ كان فيها صَفْو عيشي * وفيها طابَ خلعي وافتضاحي

عهِدت بها مُدام الحب تُجلَى * وما أحد من العشاق صاحي

وساقيها بجانبها ينادى * على النَّدْماء حيّ على الفلاح

فان أبديت حزْني لا تلمنى * فليس على المتيمِّ من جُناح

رُميت بسهم بَيْنٍ من حبيب * وسهم البَيْنِ أنكى فى الجراح

فرحت وراحتي مما الاقى * بكاء في الغدوِ وفي الرَّواح

وبعد ذلك. فانه جعانى سبباً لوجود الزلة. وعلةً لتوجه الامر والنهى. وفي الحقيقة لا علة لأمره. ولا معقب لحكمه. ولا سبب لبعد اعدائه. ولا نسب لقرب اوليائه. فان الله تعالى غنى عن خلقه. قائم بنفسه. قيوم بعباده. لا تنفعه حسنات المحسنين. ولا تضره سيئات المسيئين. فقد نفذ حكمه. ومضي قضاؤه. وجف قلمه بما هو كائن فى ملكه. كل ذلك داخلٌ فى علمه. دائرٌ فى دائرة حكمه. ما يُبَدَّل القول لديه. ولا يُنْقَضُ ما أبرمه عليه. قوله الحق. ووعده الصدق. ان وعد وفا. وان تواعد عفا. فهو بالخيار ان شاء عذب وان شاء عفا. لا يلزمه

اثبات الوعيد . بل الأمر اليه فى وعيده . والمشيئة اليه فى تهديده . فله ان يعذب بلا سبب . وان يسعد بلا نسب ولا مكتسب . وهو في كلٍ عادل غير ظالم . لان الظلم عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير حق . وهو سبحانه وتعالى لا شريك له فى ملكه . ولا منازع له فى عباده . فله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون. وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً ابداً الى يوم الدين



﴿ سأل بعض الذميين العلماء عن مسئلة القدر قائلا ﴾

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح حجة
اذاما قضى ربى بكفرى بزعمكم ولم يرضه منى فما وجه حيلتي
دعانى وسد الباب عنى فهل الى دخولي سبيل بينوا لى قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذي فيه شقوتى
فان كنت بالمقضي ياقوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم بليتي
فهل لى رضا ماليس يرضاه سيدي فقد حرت دلوني على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة فهل أنا عاص باتباع المشيئة
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتي

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلا ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب الخلق باري البرية
وهذا سؤال خاصم الملأ العلا قديماً به ابليس أصل البلية
ومن يك خصما للمهيمن يرجعن على أم رأس هاويا فى الحفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادهم الى النار طرا فرقة القدرية
سواء نفوه اوسعوا ليخاصموا به الله أوماروا به للشريعة

وأصلُ ضلالِ الخلق من كل فرقة هو الخَوضُ في فعلِ الالهِ بعلةِ

فان جميعَ الكونِ أوجبَ فعله مشيئةُ ربِّ الخلقِ باريْ الخليقةِ

وذاتُ الهِ الخلقِ واجبةٌ بما لها من صفاتٍ واجباتٍ قديمةِ

مشيئتُه مع علمِه ثم قدرةٌ لوازمُ ذاتِ اللهِ قاضي القضية

فقولكَ لِمْ قدشاء مِثلُ سؤالِ مَنْ

يَقُولُ فلِمْ قد كان في الأُزَلِيَّةِ

وذاكَ سؤالٌ يبطِلُ العقلُ وجهَهُ وتحريمُه قد كان في كل شِرْعة

وفي الكون تخصيصٌ كثير يدلُّ مَنْ

له نوعُ عقلٍ أنه بارادة

وإصدارُه عن واحدبعد واحد أو القولُ بالتجويزرَميةُ حيرة

ولا في تعلُّق لِكُل مسبب بما قبله من علة كُلُّ خيبة

بل الشانُ في الاسبابِ اسبابِ ما

ترى ومصدرُها عن حكمِ محضِ المشيئة

وقولكَ لِمْ شاءالاله هو الذى ازلَّ عقولَ الخلقِ في قَعرِ حُفرة

فان المجوس القائلين بخالق لنفعٍ وربٍ مُبدعٍ للمَضَرَّة

سؤالُهُمُ عن علة الشر أوقعت رؤسهمُ في شبهة الثَنَوِيَّة

وان ملاحيدَ الفلاسفة الأولي يقولون بالفعل القديم لعلة
بغَوا علة للكون بعد انعدامه فلم يجدوا ذاكم فضلّوا بضلّة
وان مبادى الشر فى كل أمة ذَوى من رضوخ لاتباع لشبهة
بخوضهم في ذاكم صار شركهم وجاء دُروسُ البيّنات بفَتْرة
ويكفيك نقضاً انّ ماقد سألته من العذر مردودٌ لذي كُلّ فطرة
فانت تعيبُ الطائعين جميعهم عليك وترميهم بكل مذمة
وتنحلُ من والاكَ صفوَ مودّةٍ وتُبغضُ من عاداك من كل فرقة
وحالهم فى كل قوله وفعلِ كحالك يا هذا بأرجح حجة
وهبكَ كففتَ اللّومَ عن كل كافر
وكلّ غويّ خارجٍ عن محجة
فيلزمكَ الاعراضُ عن كُلّ ظالمٍ على الناس من نفسٍ ومالٍ وحرمة
فلا تغضبنْ يوماً على سافكٍ دماً ولا سارقٍ مالاً لصاحب فاقة
ولا شاتمٍ عرضاً مصوناً وان علا ولا ناكحٍ فرجاً على وجه غية
ولاقاطع للناس نهجَ سبيلهم
ولا مفسدٍ فى الارض من كل وجهة
ولاشاهدٍ بالزور افكا وفريةً ولا قاذفٍ للمحصات بزنية

ولا مهلك للحرث والنسل عامداً ولا حاكم للعالمين برشوة
وكف لسان اللوم عن كل مفسد ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً على ربهم من كل جاء بفرية
وان قصدوا اضلال من يستجيبهم
بروم فساد النوع ثم الرياسة
وجادل عن الملعون فرعون اذ طغى
فأهلك في اليم انتقاما بغضبة
وكل كفور مشرك بالهه وآخر طاغ كافر بالنبوة
كعاد ونمرود وقوم لصالح وقوم لنوح ثم اصحاب ليكة
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى من الانبياء محيياً للشريعة
على كونهم قد جاهدوا الناس اذ بغوا
ونالوا من العاصي بليغ العقوبة
وإلا فكل الخلق في لفظة ولحظ عين وتحريك لشعرة
وبطشة كف أو تخطي قديمة وكل حراك بل وكل سكينة
هم تحت أقدار الاله وحكمه كما أنت فيما قد أتيت بحجة
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل فعال ردى طراً لهذى المقيسة

فهل يمكنن رفعُ الملام جميعه عن الناس طرًّا عند كل قبيحة
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
وترك الورى الانصافَ بين الرعية
فلا يُضمنَنْ نفسٌ ومال بمثله ولا يُعقَبَنْ عادٍ بمثل الجريمة
وهل في عقول الناس اوفي طباعهم
قبول لقول النذلِ ماوجه حيلتي
ويكفيك نقضاً ما بجسم ابن آدمٍ صبي ومجنون وكل بهيمة
من الألم المقضيِّ من غير حيلة وفى ما يشاء الله أكملُ حكمة
اذا كان فى هذا له حكمةٌ فما يُظنّ بخلق الفعلِ ثم العقوبة
وكيفَ ومن هذا عذاب مولَّدٌ من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
كأكل سمٍّ أوجبَ الموتَ اكله وكلٌّ بتقديرٍ لربِّ المنية
فكفرُك يا هذا كسمٍّ أكلتَه وتعذيبِ نارٍ مثلِ جرعةِ غصةِ
ألستَ ترى فى هذهِ الدارِ من جنى يعاقب إما بالقضاء وبشرعة
ولا عذر للجانى بتقدير خالق كذلك فى الاخرى بلا مثنوية
وما كان من جنس المتاب لرفعه عواقب أفعال العباد الخبيثة
كخير به تمحى الذنوب ودعوة تجاب من الجانى ورب شفاعة

وتقديره للفعل يجلب نقمة ・ كتقديره الآثار طرا بعلة

وقول حليف الشر انى مقدّر ・ على كقول الذيب هذى طبيعتى

فهل ينفعنْ عذر الملوم لانه ・ كذا طبعه أم هل يقال لعتوة

أم الذمّ والتعذيب أوكد للذى ・ طبيعتهُ فعلُ الشرور الشنيعة

فان كنت ترجو أن تجاب بماعسى ・ ينجّيك من نار الاله العظيمة

فدونك ربّ الخلق فاقصده ضارعاً ・ مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة

وما بان من حقٍّ فلا تتركنّه ・ وعج عن سبيل الامة الغضبية

وذلل قياد النفس للحق واسمعنْ ・ ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة

ومن ضل عن حق فلا تقفونّه ・ وزن ما عليه الناس بالمعدلية

هنالك تبدو طالعاتٌ من الهدى ・ بتبشير من قد جاء بالحنفية

بملة ابراهيم ذاك امامنا ・ ودين رسول الله خير البرية

فلا يقبل الرحمن ديناً سوى الذى ・ به جاءت الرسل الكرام السجية

فقد جاء هذا الخاتم الحاشر الذى ・ حوى كلّ خير فى عموم الرسالة

وأخبر عن رب العباد بأنّ من ・ غدا عنه فى الاخرى بأقبح خيبة

فهذه دلالات العباد لحائر ・ وأما هداه فهو فعل الربوبة

وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من ・ عدا عنه بل يجرى بلا وجه حجة

وحجة محتج بتقدير ربه   تزيد عذاباً كاحتجاج مريضة

وأما رضانا بالقضاء فانما   أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة

كسقم وذلّ ثم فقر وغربة   وما كان من مؤذٍ بدون جريمة

فأما الافاعيل التي كرهت لنا   فلا نصٌ يأتي في رضاها بطاعة

وقد قال قومٌ من أولي العلم لا رضى   بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة

فان إله الخلق لم يرضها لنا   فلا نرتضي مسخوطة بمشيئة

وقال فريقٌ نرتضي بقضائه   اليه وما فينا فيلقى بسخطة

كما أنها للربّ خلقٌ وانها   لمخلوقه كسبٌ كفعل الغريزة

فنرضى من الوجه الذي هو خلقُه

ونسخطُ من وجهِ اكتسابِ الخطيئة

ومعصيةُ العبد المكلف تركهُ   لما أمرَ المولى وان بمشيئة

فان اله الخلق حقٌّ مقالُه   بان العبادَ في نعيمٍ وجنة

كما انهم في هذه الدار هكذا   بل البهم في الالام ايضا ونعمة

وحكمته العليا اقتضت ما قضت من ال   فروق بعلم ثم ايد ورحمة

يسوق اولى التعذيب بالسبب الذي

يقدره نحو العتاب بعزة

ويهدى اولى التنعيم نحو نعيمهم باعمال صدق فى خشوع وخشية
وامرُ اله الخلق تبيين مابه يسوق اولى التنعيم نحو السعادة
فمن كان من اهل السعادة اثرت او امره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من اهل الشقاوة لم ينل بامر ولا نهي بتقدير شقوة
ولا مخرَجٌ للعبد عما بِهِ قضى ولكنَّهُ مختارُ حُسْنٍ وسوأة
فليس بمجبورٍ عديمِ ارادةٍ ولكنه شاء بخَلْقِ الإرادة
ومن عجب الاشياء خلق مشيئة بها صار مختارَ الهُدَى والضلالة
وقولك هل اختار تركًا لحكمهِ كقولكَ هل اختارُ تركَ المَشيئة
وأختارُ أنْ لاَ اختارَ فعلَ ضَلالةٍ ولو نلتُ هذا التَّرْكَ فزْتُ بتوْبَةٍ
وذا ممكنٌ لكنهُ متوقفٌ على مايشاء الله من ذى المَشيئة
فدُونَكَ فافهم مابِهِ قد أجبت من معانٍ اذا انحلَّتْ بفهم غريزة
اشارت الى أصلٍ يُشيرُ الى الهُدَى
ولِلَّه ربِّ الخلقِ أ دملُ مِدحتى

تم

